المستوى: **سنة ثانية ماستر (أدب جزائري)**
المقياس: **الأدب الجزائري المكتوب بلغات أخرى**
المحاضرة (1): **مدخل عام – ازدواجية اللغة في الجزائر**

تمهيد:

ترتبط اللغة بالمجتمع ارتباطا وثيقا، فهي المرآة التي تعكس كل مظاهر التغير و التحول في المجتمع، بحيث إنها " استجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس جميعا ، و لهذا السبب يتصل علم اللغة اتصالا شديدا بالعلوم الاجتماعية... ونشأ لذلك فرع يسمى " علم الاجتماع اللغوي " يحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة و الحياة الاجتماعية، و بين أثر تلك الحياة الاجتماعية في الظواهر اللغوية المختلفة " (***عبد السلام المسدي ، اللسانيات من خلال النصوص، 1984، ص172***) ومن المعروف أن الإنسان لا يولد متكلما بفطرته، بل يكتسب لغة المجتمع الذي نشأ فيه، فمن نشأ في مجتمع عربي يكتسب العربية، و من نشأ في مجتمع فرنسي يكتسب الفرنسية و هكذا ... كما أن للتقليد و المحاكاة دورا كبيرا في اكتساب اللغة، بمعنى أن الطفل يكتسب اللغة من الجماعة اللغوية التي يعيش بينها بكل سمات وملامح الواقع اللغوي لهذه الجماعة من صحة أو خطأ، وما بينها من درجات التفاوت والتباين.

إن اللغة هي وعاء الفكر، وهي وسيلة تواصل بين أفراد المجتمع ومؤسساته المختلفة، ونظرا للأهمية التي تحظى بها اللغة في المجتمع نالت اهتمام الكثير من العلماء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، فعالجها علماء اللسان، وعلماء النفس وعلماء الأنتروبولوجيا، وعلماء الجغرافيا، ورجال السياسة، وعلماء الاجتماع.

I.الازدواجية اللغوية والثقافية والطبقات الاجتماعية واللغة:

1. الازدواجية اللغوية:

إن الحياة المعاصرة تفرض على الفرد أن يكون متشبعا بأكثر من لغة واحدة حتى يتمكن من التفتح على العالم وثقافاته، وتكنولوجياته، فنجد أن معظم دول العالم قد أدرجت ولو لغة ثانية إما في المرحلة الإعدادية أو خلال المرحلة الابتدائية كما هو الحال بالنسبة للجزائر، نظرا للاعتقاد السائد حول أهميتها في وقت مبكر كما جاء به "تيتون":"bilinguisme précoce"، حيث أشار إلى إمكانية شروع الطفل في تعلم لغة ثانية منذ سن الحضانة، وأكّد "بنفيلد" رأيه مشيرا إلى مرونة أعصاب الدماغ أثناء هذه السن، وأضاف بأن التدريب المبكر على أصوات هذه اللغة يساعد أعضاء الصوت على التكيف معها، وبالتالي تفادي الوقوع في مشكلات قد تخلقها الازدواجية فيما بعد، فنموه الذهني يكون في نفس الوقت بنفس إيقاع سير نموه اللغوي في كلتا اللغتين اللتين يمتلك.

2. مفاهيم الازدواجية اللغوية:

ليس لها مفهوم محدد بسبب غياب أدوات القياس، ولذلك تم تحديدها وفق نوع النشاط اللغوي الممارس، فنجد وجهات النظر التالية:

أ.الازدواجية اللغوية تعني إتقان اللغة الثانية كاللغة الأولى:

نعرفها بقول"مارتيني" المتمثل في كون مزدوج اللغة يمارس استعمال لغتين وطنيتين بنفس الكفاءة. وإن كل لغة من لغتي المزدوج تصبح أداة لحمل فكرته، ووسيلة لتمثيل العالم المحيط به (أي أنه يملك أداتين للتفكير ونظاميين ثقافيين).

ب.الازدواجية اللغوية هي معرفة أدنى كفاءة في اللغة الثانية:

يقول"تيتون" أنها القدرة على التعبير بلغة ثانية مع احترام المفاهيم والبنيات الخاصة بها، دون اللجوء إلى ترجمة باللغة الأم.

ج.الازدواجية هي عدم كون الفرد أحادي اللغة:

يَحُدُّ "أوكامبس" الازدواجية اللغوية بالحالة التي تتواجد فيها لغتان جنبا إلى جنب حيث تستعمل كل لغة من طرف جماعة وطنية تمثل نسبة هامة من المجتمع، وهذا ما ينطبق على وضعية الطفل الأمازيغي المتمرس، الذي يستعمل اللغة المحلية خارج المدرسة بينما يستعمل اللغة العربية داخلها أو عند ضرورة استعمالها.

3. أشكال الازدواجية:

حسب علاقة النظامين اللغويين الأول والثاني بالنظاميين الثقافيين الأصلي والأجنبي نجد 3 أنواع من الازدواجية اللغوية:

أ.الازدواجية اللغوية التكميلية (bilinguisme additif):

تُستخدَم اللغة الأولى مثل اللغة الثانية وكل واحدة ذات مرجع ثقافي خاص بها.

لغة أولى ثقافة أولى

لغة ثانية ثقافة ثانية } له سجلين لغويين وثقافيين، ولا يوجد تداخل بينهما.

ب.الثنائية اللغوية (la diglossie):

يميل اللغويون لتعيين تحت عبارة الثنائية اللغوية وضعية سوسيو-لغوية، حيث تُوَضَّح بتنافس لهجتين ذات وضع اجتماعي ثقافي متباين إحداهما معتبرة محليا ويعني شكلا لغويا مكتسبا أوليا ومستخدما في الحياة اليومية، والثاني يمثل اللغة التي تستعمل في بعض الظروف ومفروضة من قبل الذين يمثلون السلطة. ويمكن لهذه الثنائية اللغوية أن لا تمس إلاّ جزءاً فقط من الطائفة المعنية، ويمكن أن ينقلب على المستوى المتطرف من السلم الاجتماعي، أولئك الذين لا يحسنون إلا اللغة المحلية، والذين يحسون لغة النفوذ والسلطة فقط وأحادي اللغة، والذين يعيشون ضمن طائفة أحادية اللغة، لكنهم يمثلون لغة ثانية اكتسبوها أثناء طفولتهم أو في المدرسة، ومعناه أنهم لا يستفيدون ولا يستخدمون النظامين اللغويين المحلي والرسمي.

ج. الازدواجية اللغوية الناقصة أو شبه الازدواجية (bilinguisme soustractif):

الثقافتان الأصلية والثانية تتدخلان دائما في استعمال سواء اللغة الأصلية والثانية دون وعي، وتتضح في عدم إتقان أي من النظاميين اللغويين.

لغة أصلية ثقافة أصلية

لغة ثانية ثقافة ثانية

4. الازدواجية اللغوية في المغرب العربي:

قدم "أحمد معتصم" دراسة تحت عنوان "الازدواجية اللغوية المتوحشة" بيّن من خلالها فشل الازدواجية في المغرب العربي، وأشار إلى أنها رغم غناها فهي لا تتعدى الأشكال الأكاديمية المعروفة، مسلطا الضوء بذلك على الطفل المغاربي مع كل صعوباته في التعلم مقترحا وضعه في مركز اهتمام المسؤولين، والقصد من ذلك عدم وضعه في خانة الصراع القائم بين اللغة العربية الفصحى كلغة أمّ والفرنسية كلغة عالمية، مشيرا بذلك إلى قضية التثاقف من بابها الاستعماري والفعل البيداغوجي الممارس من قبل الأستاذ الأجنبي الذي غايته ترسيخ الثقافة الغربية في نفوس وعقول التلاميذ المغاربة.

5. شكل الازدواجية اللغوية المقابلة للمناطق الأمازيغية:

إضافة إلى كل ما ذكر عن الازدواجية اللغوية نجد المشكلة أكثر تعقيدا عند الطفل الأمازيغي كونه لا يعرف اللغة العربية الفصحى التي يبدأ التعلم بها من أول يوم يدخل فيه المدرسة، فهي رغم عدم غرابتها عنه لأنها لغة المسجد والراديو والسلطة، إلا أنه يواجه مشاكل كونه لا يتقنها، وهذا

المشكل يتفاقم لديه كونه يتعلم لغة أجنبية أخرى بعد فترة غير كافية لترسيخ اللغة العربية لديه، وهنا تظهر إشكالية التعدد اللغوي دون اكتساب أي من اللغات.

6. فوائد الازدواجية اللغوية:

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "من تعلم لغة قوم أمن شرهم" وهي:

- تساعد على النمو الفكري، وتستعجل نمو بعض المهارات الذهنية والاستعدادات العقلية، وبالتالي تسمح بالمرونة في المجالات اللفظية والإدراكية عند الازدواجي.
- تعلم اللغات العالمية يخدم المصالح الاجتماعية والثقافية والسياسية نظرا لترابطها وتشابكها خاصة في عصرنا الحالي.
- تعلم اللغات يشكل قسما من ثقافة التلميذ العامة ومن إعداده للحياة، بالتالي تعطيه بعدا عالميا زيادة على البعد العائلي والوطني.
- قدرة أعضاء النطق على أداء مختلف الأصوات الموجودة في لغات العالم خلال السن المبكر.كلما طال مرور الزمن على استعمال عادة ما قويت هذه العادة وتمكنت في النفس(عامل التكرار وارتباطه بعامل الزمن).

7. الازدواجية اللغوية وخزن المفاهيم: هنا نجد ثلاث أنواع من الازدواجيين على المستوى الدلالي:

أ. **الازدواجي المتزن (المسيطر على لغتين معا)**: وهو الذي يملك نظامين دلاليين منفصلين وكل واحد له ارتباطات خاصة به(بين الدال و المدلول)، حيث يملك الفرد نظامين من المفاهيم واحد لكل لغة، مما يسمح له بسهولة الاتصال مع أفراد اللغة الأولى و أفراد اللغة الثانية، إلا أن هذا النوع لا ينطبق مع أيّ من المناطق الأمازيغية ولهذا نضعه جانبا.

ب. الازدواجي المركّب: يملك نظاما متّحدا أو مدموجا، فيسلك سلوك المتحدّث الأصلي في أيّ من اللّغتين، نظرا لكون الوحدات الدّلالية تمثل اتّحادا لوحدات اللغتين، ولا يكون لديه سوى نظام واحد حيث الارتباطات تمثل خليط النظامين اللّغويّين. ففي هذا النوع، نجد الطفل يتذبذب بين إسناد المفاهيم إلى لغته الأصليّة واللغة الثانية، وهذه حالة الأمازيغ المتواجدين في حدود جغرافية و لغوية مع الناطقين بالعربية و المتمكّنين جزئيّا من اللغة العربية.

ج. الازدواجي غير المتزن: يتكلّم اللغة الأمّ كالأصلي ولكنّه يرجع إلى لغته الأصليّة فيما يخص الدلالة عند تحدّثه بلغة ثانية لأنه يستعين بها وبنظامها اللغوي والدلالي؛ فهو لا يملك إلا نظاما لغويا واحدا هو نظام لغته الأم، ولكن اللغة الأخرى تستعمل عادة بواسطة الترجمة، والمشكلة هنا تظهر عندما تكون هناك فكرة يمكن أن تُستحضر بلفظة واحدة في اللغة الأم، بينما تتطلب موازنة معنويّة بواسطة عدة ألفاظ في اللغة الأخرى، أي يُترجم عناصر لغة إلى أخرى. وهذه الظاهرة منتشرة لدى الأطفال الأمازيغ المتمدرسين الذين يعيشون في المناطق التي تستعمل اللغة العربية في الحديث اليومي.

هذا يعني أنّ له مخزن دلالي واحد فقط يستعمله في كلا اللغتين، والتخزين يتناول نفس الأسلوب في اللغة الأولى والثانية.

أ. الازدواجي المتزن — مخزن دلالي 1 وهما مرتبطين بشكل مختلف مع المفاهيم(خبرات، معارف مكتسبة).

مخزن دلالي 2

ب. الازدواجي المركب — نظام لغوي واحد مدموج.

ج. الازدواجي غير المتزن — نظام لغوي واحد (هو نظام لغته الأم).

II.العوامل المساعدة على تكريس الازدواجية اللغوية في الجزائر:

من بين أبرز العوامل التي عملت على تكريس الازدواجية اللغوية في الجزائر:

أ) **العامل التاريخي** : ويتجلى دور العامل التاريخي في تكريس الازدواجية اللغوية في الجزائر فيما يلي:

1. الاحتلال بأشكاله و أساليبه المختلفة: و يتمثل لنا ذلك في تلك الطرائق و الأساليب التي يتعامل بها الاحتلال، أينما وجد، وحيثما حل، إذ أول ما يقوم به المحتل هو ضرب لغة الدولة المحْتَلَة، لأنه يعرف جيدا أن اللغة عامل توحيد و تفريق في آن واحد، لهذا فهو يركز على فرض لغته قولا و فعلا . فأما القول فيتجلى في تلك الدعوات التي تتعالى هنا و هناك ، والتي تحذر من مخاطر التعامل باللغة العربية باعتبارها سبب تخلف الشعوب التي تتكلم بها . و أما الفعل ، فيتجسد في الميدان عن طريق فرض لغة المستعمر بالقوة على الأهالي و السكان الأصليين، و تضييق الخناق على لغتهم الأصلية، كما حدث في الجزائر و غيرها من الدول المغاربية المجاورة.

وكانت فرنسا تعتقد واهمة إلحاق الجزائر بفرنسا الكبرى، حيث كانت تصف عاصمتها بباريس الصغرى و لم يخطر ببال الفرنسيين أن يأتي يوم يضطرون فيه لمغادرة الجزائر "الفرنسية"، لذا فقد حاربت اللغة العربية و حاولت فرنسة الأرض والشعب، كما أجبرت الجزائريين تعلم الفرنسية ،ومنعت تدريس العربية حتى في المساجد، بل و حولت الصراع بين العربية والفرنسية إلى تناحر بين العربية و الأمازيغية وبين الفصحى والعامية؛ لأن فرنسا كانت تعتبر بلدنا الجزائر في تلك الحقبة الاستعمارية، جزءا لا يتجزأ من ترابها .وهذا يعني في عبارة مختصرة أن التعليم في الجزائر كان لا يخالف التعليم في فرنسا، نفس البرنامج ، و نفس الإطار ، و نفس الهدف . و إذا كان هناك فرق فإنما في كون الطفل الفرنسي كان حرا في تكوينه و اختياراته و عواطفه في حين أن الطفل الجزائري كان لا يملك هذه الحرية، فقد كان مفروضا عليه أن يتعلم الفرنسية كلغة وطنية ، و ممنوعا عليه أن يحاول تعلم العربية لسبب واحد و هو أنها لغة أجنبية في الجزائر، بل هي أقل من اللغات الأجنبية الأخرى كالإنجليزية و الإسبانية و الإيطالية و الألمانية. فإذا كان الاحتلال في الماضي القريب يسمح للمستعمر برسم سياستنا التعليمية. فإن اليوم ما يسمى بالمعونات الاقتصادية واتفاقيات الشراكة يعطي للمستعمر الجديد الفرصة نفسها. والكلام عن معونات غير مشروطة كلام تنقصه الأمانة والوطنية معا، فلقد " كانت اللغة و ما زالت هدفا من أهداف سياسة الاستعمار الإدماجي" (***محمد عبد المولى، مقالات وأبحاث، 1982، ص69***).

2. **الدعوة إلى التخلي عن اللغة العربية الفصحى:** واستبدالها بلهجة أو لغة أخرى أكثر سهولة، وتناسبا مع متطلبات العصر. فلقد تفنن المحتل في مشارق الأرض و مغاربها في إقناع بعض العرب بالتخلي عن اللغة العربية الفصحى، متخذا في ذلك طرائق و أساليب شتى، فهللت " الأصوات تتعالى بالهجوم على الفصحى و الترويج للهجات المحلية، باتهام اللغة العربية أنها عسيرة معقدة، وقواعدها وضوابطها كثيرة مشتتة، يتعذر استيعابها والانقياد لها في حياتهم اللغوية، إن أرادوا الإبداع و الانطلاق في التعبير علما و أدبا و ثقافة " (***فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، 1999، ص 16***) . ومن بين هذه الصيحات و الدعوات التي تتعالى هنا و هناك ، والتي تتهم اللغة العربية الفصحى بالجمود و القصور على الالتحاق بركب الحضارة، والتي تدعو بملء فيها إلى التخلي عنها، نذكر:

- **الدعوة إلى التخلي عن حركات الإعراب** : و تتجلى في الدعوى إلى إلغاء الإعراب من اللغة العربية كلية ، باعتباره يطبعها . في نظرهم . بالصعوبة و التعقيد، و الاستعاضة عنه بتسكين أواخر الكلمات بدعوى الإصلاح و التيسير . والواقع أن اللغة العربية قد اعتمدت على الإعراب باعتباره أرقى ما وصلت إليه اللغات في الوضوح و الإبانة، و الإفصاح عن صلات الكلمات العربية بعضها ببعض ، و عن نظم تكوين الجمل بالحالات المختلفة لها.

- **الدعوة إلى العامية على حساب اللغة العربية الفصحى** :لقد اتهمت اللغة العربية الفصحى في الداخل و الخارج بالقصور والعجز، و الصعوبة والتعقيد ، وتعالت صيحات هنا و هناك من أفواه و أقلام عربية وغير عربية ، تدعو إلى التخلي عن العربية الفصحى و إحلال العامية محلها ، حيث " اتهموها و ما زالوا يتهمونها بالصعوبة والتعقيد، وأخذوا يشككون أهلها في قدرة لغاتهم على مجاراة العصر، والاتساع للتعبير عن مستحدثات الحضارة، و بذلوا جهدهم في إحلال العامية محلها ، بدعوى جمود الفصحى ، وانتمائها إلى عصور بادت و انقرضت، وعدم صلاحيتها للحياة وسط هذا الخضَمّ الهائل، من النظريات الفلسفية والاجتماعية و السياسية التي يموج بها القرن العشرون " (***رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، ص***266) . مما رسخ في بعض أذهان رجال الفكر العرب اعتقادا ، أن العربية عاجزة عن التعبير عن العلوم الحديثة ، وتطور هذا الاعتقاد عند البعض إلى حد الدعوة العلنية إلى التخلي عنها بدعوى أنها سبب تخلفنا العلمي و القومي و الحضاري.
- **الدعوة إلى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني** : لم يتوقف الأمر بالحاقدين على اللغة العربية عند حد مناداتهم بالتخلي عن الفصحى و إعرابها ، لكونهما . في زعمهم . من أسباب صعوبتها ، و تخلف أهلها عن الركب الحضاري ، بل ذهب بهم الأمر إلى حد الدعوة إلى التخلي عن الكتابة بالحرف العربي.

ب) العامل السياسي:

ويتجلى لنا بوضوح فيما يلي:

1. غياب الإرادة السياسية الشاملة : فإذا كانت الازدواجية اللغوية في السنوات الأولى لاستقلال الجزائر ضرورة حتمية، لا مفر منها، لغياب الوسائل الضرورية ، المادية منها و البشرية ، ولوجود اتفاقيات تكفل لها حق الاستمرار في جزائر ما بعد الاستقلال لأجل مسمى ، كما هو الحال مع " اتفاقيات إيفيان "(التي تكرس الإبقاء على مجموعة كبيرة من مدراء المدارس كانوا فرنسيي الجنسية أو المتمتعين بازدواجيتها، ومن ثم، فإنهم كانوا لا يدخرون جهدا في عرقلة كل المساعي الرامية من قريب أو بعيد إلى زحزحة اللغة الفرنسية)، فإن الازدواجية في جزائر اليوم، جزائر العزة و الكرامة أصبحت اختيارا ، و لكنه اختيار مفروض بطريقة و أخرى.

لقد تراوحت نظرة الدوائر الرسمية التي تداولت على السلطة في جزائر ما بعد الاستقلال تجاه قضية الازدواجية اللغوية بين المرونة و اللين حينا، و التشدد والتصلب أحيانا أخرى، حسب مذاهب الحكام الذين تداولوا على السلطة و مشاربهم الإيديولوجية . فرفعت الشعارات، و عينت الهيئات، و سنت القوانين و المواثيق و الدساتير، التي تمجد التعريب، و تعطي اللغة العربية المكانة التي تليق بها ، ولكن كل هذا لا يحقق الهدف المنشود إذا لم تتوافر للسلطات السياسية الحاكمة، نية صادقة، و إرادة قوية، تسهر على جعل اللغة العربية لغة رسمية يتعامل بها بين مختلف شرائح المجتمع الجزائري، وتوظيفها توظيفا سليما في مختلف المؤتمرات والمحافل الوطنية و الدولية المختلفة، وتجسيد ذلك في الميدان، تطبيقا و ممارسة، لا قولا و تنظيرا. و حتى و إن توافرت النية الصادقة عند البعض منهم، إلا أنها سرعان ما تختفي، لكونها لم تجد الدعم الكافي الذي يجعلها تتجسد في الميدان، بل على عكس ذلك ، تجد صدا من طرف بعض القوى الفاعلة في البلاد، التي تعمل على وأدها في مهدها، خوفا وطمعا .

2 . وجود الفرانكوفونية التغريبية : التي تتمثل في وجود بعض الدوائر الجزائرية الرسمية القوية ، و التي وظفت كل جهودها لعرقلة تطبيق قوانين تعريب العمل بالدوائر الرسمية، بدلا من لغة المستعمر السابق ، فقد صدر قانون تعميم استخدام اللغة العربية يوم 5-7-1998 بتوقيع الرئيس السابق الأمين زروال، وجاءت المصادقة على هذا القانون بعد سنوات من تجميد قانون سابق لتعميم اللغة العربية كان البرلمان قد صادق عليه عام 1990. متحججين بنقص الكفاءات التي بمقدورها القيام بهذه المهمة ، و ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد أن قضية التعريب في بلادنا ظلت " سنوات طويلة موضوع نقاش بين طرفين لا يفهم أحدهما الآخر ، فكان شبيها .كما يقولون . بنقاش الصم الذين لا يسمع بعضهم بعضا ، و لكن كل واحد يرد على الآخر بما يتوهم من أفكاره ، أو ما يظن أنه قاله، أو ما يعتقد أنه خليق بقوله "(***عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعريب والتعليم، ص6***) .

فهو عبارة عن صراع دائر بين التيار الإسلامي و الوطني من جهة وبين التيار العلماني الفرانكوفوني من جهة أخرى حول قضية تعميم اللغة العربية، وهذا الصراع أتبعه بالضرورة صراع لغوي بين اللغة العربية الوطنية واللغة الفرنسية الدخيلة. يقول الدكتور محمد العربي الزبيري موضحا أسباب الصراع بين المعربين والمفرنسين، " ...ومن جملة تلك الفقرات واحدة تأتي مباشرة بعد تحديد مفهوم الثقافة، وتشير إلى أن اللغة العربية قد تأخرت باعتبارها وسيلة ثقافة علمية عصرية، وهي بذلك قد تتسبب في شل التعليم وتزيد في خطورة الجهل الموروث عن الهيمنة الاستعمارية " (***محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر، ص 18***)

3 . ضعف مناهج التدريس و قصورها في منهجية تعليم اللغة العربية: والنظرة التربوية القاصرة عن إدراك أهمية تعليمية الأطفال في مراحل دراساتهم الأولى، ودورها الفعال في بناء الكيان التربوي السليم للطفولة البريئة .إذ كثيرا ما نجد القائمين على هذا القطاع الحساس . عكس الدول المتقدمة . يعينون معلمين من ذوي المستويات الدنيا لتعليم هذه الشريحة الهامة، جاهلين أو متجاهلين أن فاقد الشيء لا يعطيه ، إذ " إننا ما زلنا نظن أن تعليم الطفل أهون أنواع التعليم ، و أدى هذا إلى أننا أصبحنا نقيس مقدار المعلم بعمر الطفل الذي يتولى تربيته وتعليمه، صعودا و هبوطا ، فمعلم الإعدادي أكثر احتراما من معلم الابتدائي، و أقل مركزا من مدرس المدارس الثانوية ... و هي فكرة ساذجة مدمرة لنفسية هذا المعلم، الذي وضعنا بين يديه هذه العجينة اللينة . طفل اليوم و رجل المستقبل، ليجعل منه مواطنا صالحا أو شيطانا ماردا " (***رمضان عبد التواب، دراسات وتعليقات في اللغة، ص 228-229***) .

4 . تنامي سيطرة اللغات الأجنبية: بترويج فكرة أهمية اللغة الأجنبية على حساب اللغة العربية ، خاصة في السنوات الأولى من التعليم ، إذ " لتعجب، حين ترى بعض المتعلمين ، ينطق اللغة الأجنبية على وجهها الصحيح ، حتى إذا رام الحديث بالعربية الفصحى ، تلعثم و ارتبك ، و أخطأ و لحن، وصحّف وحرّف، وخلطها بالرديء من الأساليب العامية ، وما ذلك إلا لأنه لا يسمع الفصحى إلا فيما ندر في حجرة الدراسة، حتى إذا خرج إلى الشارع، ملأت العامية سمعه و بصره في كل مكان، فخلطت عليه أمره، وردته الفصحى أيما رد، و عاقته عن تملك زمامها، والسيطرة عليها " (***رمضان عبد التواب، دراسات وتعليقات في اللغة، ص237***) .لقد أثبتت التجارب أن الطفل الذي يقبل على تعلم لغة أجنبية ثانية قبل أن يتعلم بإتقان اللغة الأولى (الأم) ينعكس ذلك سلبا على اكتساب و تعلم اللغتين كلتيهما . ولذا فإن تعليم اللغة الثانية بعد اتقان اللغة الأولى في مصلحة اللغتين في آن واحد. فـ" إن ما يتفق فيه علماء التربية أننا نطبع عقل الطفل بطابع اللغة التي يتعلمها و يستعملها قبل غيرها من اللغات الأخرى . فإذا علمناه لغة أجنبية قبل اللغة الوطنية ستبقى دائما ثانوية في ذهنه و تصوره و سلوكه العقلي والنفسي أيضا ،و إذا تعلم اللغة الوطنية ثم الأجنبية ما شاء من السنين، فإن اللغة الوطنية ستبقى عنه مستحكمة،حتى ولو تعلم بعدها لغات عديدة أجنبية،لا لغة واحدة" (***عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، ص 42***)

ج) العامل الاجتماعي: إذا كانت اللغة نشاطا اجتماعيا، من حيث إنها استجابة ضرورية، لحاجة الاتصال بين الناس جميعا، فإنها تعد أيضا من أهم الروابط المتينة التي تربط أفراد الجماعة اللغوية بعضها ببعض، فإذا نظرنا إلى المجتمع الجزائري وجدناه يتكلم خليطا بين الفرنسية والعربية واللهجات المحلية باختلاف مناطق الوطن، فقد تجد في العائلة الواحدة، المعرب، والمفرنس، والمزدوج اللغة، ومن لا يحسن لا الفصحى ولا اللغة الأجنبية أو يجمع قليلا من الاثنين؛ وليس بمقدور أحد أن يعطي نسبة المتكلمين بهذه اللغة أو تلك. ومهما يكن من أمر، فإن اللغة الفرنسية بمعية لهجات محلية كثيرة، تسجل حضورها بقوة في جزائر ما بعد الاستقلال، مما يجعل اللغة العربية ومن اتخذها لسانا له محاصرين، وعاجزين عن أداء أبسط وظائفهم المتمثلة في التواصل و التعبير عن رغباتهم وآلامهم. فالسواد الأعظم من المواطنين الجزائريين في جزائر ما بعد الاستقلال يعيشون الاغتراب وسط أبناء وطنهم، و لا ذنب لهم في ذلك إلا كونهم اتخذوا اللغة العربية لسانا لهم دون غيرها من اللغات و اللهجات الأخرى المنتشرة في ربوع هذا الوطن، وهي كثيرة، فاللغة العربية عند هذه الفئة من الناس لم تحقق وظيفتها، ليست لكونها قاصرة عن ذلك، و إنما لوجودها محاصرة بين اللغة الفرنسية من جهة، وتلك اللهجات المختلفة من جهة أخرى، مما جعل هذه الفئة تعيش على الهامش.

د) العامل النفسي: إن العامل النفسي الذي كرس الازدواجية اللغوية في الجزائر المستقلة جراء تراكمات كل من العامل التاريخي، و السياسي ، و الاجتماعي، يتجلى لنا بوضوح في:

1. **الشعور الذي انتاب الجزائريين، شأنهم في ذلك شأن سكان البلاد العربية بصعوبة اللغة العربية الفصحى،** لما تحويه من قواعد نحوية وصرفية وإملائية جامدة معقدة، مما جعلهم يعزُفون عنها؛ وهذا الشعور الذي ولّد عندهم النفورَ منها، و الرغبةَ عنها، وليد الاستعمار بأنواعه المختلفة، فقد أصبح " الاعتزاز باللغة العربية هزيلا إن لم نقل منعدما يقابله مد زاخر قاهر من الإعجاب باللغات الأوروبية، و التأثر بها والاقتباس منها، بمناسبة و غير مناسبة "(***فخر الدين قباوة، المهارات اللغوية وعروبة اللسان، ص 18***)

2. **الإحساس بالانهزامية النفسية لدى مستخدمي اللغة العربية،** جراء الاعتقاد بأن اللغة العربية الفصحى ليست لغة علم و تطور وحضارة، مما أدى إلى توليد مركب نقص لديهم، جعلهم يشعرون بالدونية. بل كثيرا ما نلاحظ و نسمع أن طلاب معهد اللغة العربية و آدابها أصبحوا محبطين نفسيا لأنهم يدرسون اللغة العربية التي أصبحت في مجتمعنا ينظر إليها بعين الريبة، وفي المقابل نجد طلاب اللغات الأجنبية، يفتخرون ويعتزون، لكونهم يدرسون اللغة الفرنسية أو الإنجليزية باعتبارهما لغتي علم و تطور، وأصبحوا يعدون تعلم اللغة العربية موضة قديمة أكل عليها الدهر و شرب، مما أدى إلى العزوف عن تعلمها، بل إلى حد اعتبار ذلك مضيعة للوقت. هذا بالإضافة إلى عقدة النقص التي تجذّرت في معظم نفوس الجزائريين جراء الاحتلال الفرنسي المرير، والتي " تعمل فينا دون وعي، وتتعمق منا في اللاشعور، و ينطبق بها علينا قانون ابن خلدون الرهيب من أن المغلوب مولع بتقليد الغالب في ملبسه و مأكله و أحوال معاشه . و بما أننا مغلوبون حضاريا . للأوربيين بعد أن كنا مغلوبين لهم سياسيا وعسكريا، فإننا لكي نبرهن لأنفسنا وللفرنسيين أيضا وللعالم المتحضر كله بأننا لسنا متأخرين و متخلفين، لا نكتفي بأن نلبس ونستضيء بالكهرباء بل نحن نتكلم أيضا لغتهم" (***عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، ص 11***).

المراجع:

(1) عبد السلام المسدي، **اللسانيات من خلال النصوص** ، النشرة الأولى ، الدار التونسية للنشر ، عام 1984م ، ص 172

(2) رمضان عبد التواب، **بحوث و مقالات في اللغة** ، ط2 ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، 1988م

(3) حمد مصايف ، **في الثورة و التعريب** ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م.

(4) فخر الدين قباوة ، **المهارات اللغوية و عروبة اللسان** . البحوث و دراسات في علوم اللغة و الأدب . ط1 دار الفكر، دمشق، سورية 1999م

(5) عبد الله شريط، **نظرية حول سياسة التعليم والتعريب** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984م

(6) محمد العربي الزبيري ، **الغزو الثقافي في الجزائر** (62 . 82) ، مقال منشور في مجلة الرؤيا، مجلة فصلية تعنى بشؤون الفكر ، يصدرها اتحاد الكتاب الجزائريين ، العدد 3 ، 1983م

(7) بوزيد ساسي هادف، **الازدواجية اللغوية في الجزائر: دراسة سوسيولسانية.**